



السبت 19 يونيو 2010 07:03 م
كتب: بقلم: الشيخ محمد عبد الله الخطيب

إن صدور المؤمنين بالله واليوم الآخر، وهم الجماهير العظمى، ثم جميع الدول العربية والإسلامية؛ لمحنة أشد الحرج، ومثأمة أشد التألم من الأصوات المنكرة الرديئة التي تنطلق بين الفترة والأخرى، تنادي بأن الإسلام ليس هو الطريق للحل، وليس هو السبيل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولا ندري إلى متى ينطلق كل متفكر صاحب هوى شيطانه قد تلاعب به؛ ليعرض بدين الله؟.

وسواء أكانت انتخابات- وهي معروفة بنتائجها- أم لم تكن؛ فإن الإسلام هو دين الله الخالد لجميع الأمم من يوم أن نزل على سيد الخلق إلى قيام الساعة، وأنه لم ينكر أبدًا جميع الرسل الذين سبقوه، ودعوا إلى الله، ونادوا بالإيمان به، إنما أنكر الانحراف عن منهج الله المستقيم، الذي دعا إليه سيدنا آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وسيد الخلق خاتمهم عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهذا غاية السماحة؛ لكن الذين يتفلسفون من أبناء العلمانية وبقايا الشيوعية، التي أكل الزمان عليها وشرب، وغيرهم من الذين يحلو لهم ترديد مثل هذه العبارات السمجة، وهم يصادرون على منهج الله خالق السماوات والأرض ومدبر الأمر؛ عجيب أن يرضى إنسان صاحب عقل- أيًا كان انتماءه- أيرضى أن يُقال عن دين الله وعن الإسلام الذي اختاره رب البشرية أنه ليس حلاً!!، وأنه ليس مرجعًا، وأنه ليس ملاذًا للبشرية!!؟

يتترس وراء كلمات تُقال في كل مناسبة، وغير مناسبة "إن الإسلام هو الحل".. فيرد: الإسلام ليس حلاً،

والبعض يبلغ به التفاهة والعبث؛ ليقول: إنني لا أكره إلا هذا الشعار! تكره دينك يا أبله!، تكره رسالة السماء يا جاهل!، تترك من أنصف جميع رسل الله، وأمرنا كمسلمين وشرط لإسلامنا أن نؤمن بهم!!.

قال تعالى: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُعَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَاتِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ (البقرة).

ويسكن العلماء، ويسكن العارفون، ويسكن من يستطيعون أن يوضعوا للأمة، ماذا تعني هذه الكلمات؟

يجب أن يعرف الناس، الغريب والبعيد، أننا من المشرق إلى المغرب أمة مسلمة تؤمن بالله، وقد وطننا العزم بالبلاغ المبين وبالطرق السلمية وبالتفهم للجميع؛ ألا نحكم إلا بشرع الله الذي وسع كل النظم الصحيحة، واعترف اعترافًا كاملاً بالأديان السماوية، التي أخبرنا القرآن وعلمنا إياها، وبالرسل، ففرض أن نقول: آمنا بعيسى عليه السلام، وآمنا بموسى عليه السلام، وآمنا بأبينا إبراهيم عليه السلام، وآمنا بنوح عليه السلام، وآمنا بجميع الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، كما أمرنا القرآن، وكما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن هذا جزء من ديننا ونصّ عليه القرآن في الآية السابقة من أواخر سورة البقرة، آمنا بتمامهم وبصدقهم وبتبليغهم الرسالة التي كلّفهم الله بها، كما آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً.

ماذا تريدون أن تفعلوا هذه الشجرة من آدم إلى خاتم الأنبياء؟ وماذا بقي لكم؟ وعلى أي شيء تعيشون؟

سيظل الإخوان المسلمون، وكل من على مستواهم وفهمهم؛ يفتقرون ويعلمون الجميع هذه الحقائق، صباح مساء، في كتاباتهم وفي خطبهم، والإمام البنا هو القائل: أتمنى أن أبلغ الطفل دعوة الإسلام في بطن أمه،

لكن نحب أن نقول لكم.. ما معنى كلام الإخوان "الإسلام هو الحل"، التي تخافون منها، والتي تتبرعون بالإساءة إليها، وإلى دينكم، معناها بالتحديد: يا أيها الناس "كلمة الإسلام هو الحل نقصد منها ضرورة التذكير بالله، وضرورة العودة إلى الله ومنهجه ونظامه؛ لتحقيق الحياة الإسلامية في ظل منهج الله"، ومن معانيها أيضاً التي نقصدها ونريد أن تصل إليكم وأن تعقلوها، أننا نذكركم- بهذه العبارة- بالله الذي خلقكم وسواكم ورزقكم، ويحيكم ثم يميتكم، ثم يبعثكم؛ لنحاسبوا، فهي إذاً تذكير من حملة المنهج الإلهي (الإخوان المسلمون) للغافلين، تذكير بالله الخالق الرازق الذي أنزلها للعالمين ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف: من الآية 104) ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (ص)، تذكير بالرسالة التي نزلت على سيدنا عيسى، وعلى جميع الرسل، وعلى رأسهم إمامهم سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

كما أن دعاة الإسلام حريصون على تذكير الناس بمصدر عزهم ومرجع كراماتهم، وسر قوتهم، فلا يُضربون ولا يُستهتر بهم أبداً مجموعة من شذاز الآفاق، اليهود السفلة الخونة المجرمون، ويقطعون كل الإمدادات عن إخوانكم في فلسطين؛ ليموتوا جوعاً، وينادون ولا يجيب وبصرخون ولا مغيب، وتأتي تركيا وسفينة من أيرلندا؛ لإنقاذهم ويُضربون في عرض البحر وأنتم نيام، كفى من شارع الهرم، وكفى من الانطلاق وراء الشهوات، ووراء الهوى ووراء الشيطان، ثم يدير البعض رقابهم لينالوا من الإسلام، ولينالوا من القرآن ويتهمونه صراحة بأنه ليس هو الحل، دلونا على الحل إذاً، وصدق الله العظيم ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٣).

إن مثل هذه النداءات ليست للتذكير فقط؛ لكنها تحمل عقيدة ثابتة لا تقبل جدلاً ولا مساومة؛ لأنها أعظم وأكبر وأشرف من كل قضية على ظهر الأرض.

هناك شوق في القلوب لا يرويه إلا القرآن، وهناك جوعة في الأرواح لا يُشبعها إلا الإسلام، وهناك ظمأ شديد في النفوس لا يرويه إلا منهج الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه الشريعة الربانية الخالدة التي أنزلها الله ليحكم بها عباده في أرضه، ولتنفذ وتطاع، وهو الحل؛ لأنه حرَّ ضمير الفرد من الخرافات... وحرَّ عقولهم من الضلالات، وأزال العمى الذي سيطر على قلوبهم، وليس هناك على ظهر الأرض بديل يصلح أن يكون بديلاً إلا هذا، فإذا كان هناك بديل، فتقدموا ودلونا عليه، سيتطوع البعض ليقول إنها الاشتراكية، ويخرف آخر ليقول إنها العلمانية، ويستتهر ثالث ليقول إنها الديمقراطية، وبهزل رابع ليقول إنها الرأسمالية، وتسمع العجب وتساءل نفسك أين نبتت هذه الأفكار السوداء؟ وأين ولدت هذه التوجهات الخاسرة التي تدل على الصياع وعلى البلاء الذي وصلنا إليه وعلى الشقاء الذي وقع فيه هؤلاء.

أهكذا من ينتسبون لأمة محمد وُجدت فيهم هذه الأصناف؟! كيف وجدت؟ من الذي أوجدها؟ إنني أعلم من تاريخ معظم هذه الأشياء أن الذين مؤلّوها وأنشئوها وحركوها من قديم هم اليهود، فاليهود وراء كل مصيبة وكارثة.

إن الإسلام هو الحل؛ لأنه هو الذي رفع شأن هذه الأمة وأعلى قدرها، وحررها من الظلم والطغيان، وجعل سعد بن أبي وقاص يقف أمام كسرى شاهراً سيفه رافعاً رأسه، يقول له: "كنا أذلاء فأعزنا الله، وكنا فقراء فأغنانا الله، وكنا متفرقين فجمعنا الله، وأرسل فينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آيات ربنا فأمانا به، فإن أمنت أمناً بك، وإن لم تؤمن بنا، فالسيف بيننا وبينك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فهذا الدين الذي يريد البعض أن يضعه على "الرف" هو الذي أوقف الصهيونية عند حدها، وطهر الجزيرة منها، ورفع شأن هذه الأمة.

وأنتم الآن بغيره وبالبعد عنه تُضربون على أقتيتكم، واليهود يدوسون على كل شيء، شرذمة حقيرة تتواطأ عليكم وتسيل دماءكم، أفلا تتعطلون؟ أفلا تتوبون إلى الله وترجعون إليه، وتقولون "رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً".

وإزاء هذه المواقف العجيبة الغربية يجب على الدعاة أن يبينوا، وأن يوضّحوا وأن يلجئوا إلى سيرة خاتم الأنبياء بحق، وأن يعيدوا قراءتهم لها، وفهمهم لأبعادها؛ ليستمدوا منها دائماً وأبداً الصورة العملية لكل معنى يدعون الناس إليه، فقد كانوا الأعمدة التي بُني عليها أركان هذا الدين كله، فعاشوا به في الناس مثلاً كاملاً، يراه الناس في لحم ودم وصورة عملية عظيمة، لم ير التاريخ مثلاً.

استتبأ علي عمرو بن العاص رضي الله عنه فتح مصر، وتترس الرومان المتحصنين داخل حصن بابلين، وأخذوا يضربون المسلمين بالمنجنيق، وطلب عمرو من عمر بن الخطاب النجدة، فأرسل له أربعة، وقال له "لقد أبطأت في فتح مصر، وهؤلاء الأربعة الواحد منهم بألف، ومنهم الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه، فلما وصلوا إلى الحصن طلب الزبير فريسة، فركبه وطاق حول الحصن، ثم جاء عند منطقة معينة تُسمى الحمام، وقال لعمرو: ابنوا لي سلماً في هذا المكان، وابنوا من حوله مجموعات من السلالم، فأنا صاعد على السلم، فإذا ارتقيت أعلى الحصن، سألقى بنفسي على الرومان، ولتبعني الجنود فوراً، ثم أتجه إلى الله، وقال اللهم إني تصدقت بحياتي اليوم على المسلمين؛ لكي يفتح الله عليهم مصر، ثم صعد في أعلى الحصن وكبّر، وانطلق وراءه الجنود، وألقى بنفسه على الرومان من أعلى الحصن.

ولما رأى الرومان المسلمين ينزلون من الجو، جاء الرعب الذي نصر الله به المسلمين على مسيرة شهر، فهربوا ودخل المسلمون الحصن، وفتحت مصر وطُرد الرومان الغزاة المستبدون، الذين قهروا الناس وأذلوهم، وساد العدل، وسادت الرحمة، هذا هو الإسلام يا من جئتم في هذا الزمان، وتحتاجون إلى من يعلمكم ما هو الإسلام، ويصبر عليكم حتى تتعلموا، وهذا حق لكم في رقاب العلماء، وفي رقاب الدعاة، وفي رقاب الإخوان بشكل خاص.

تأعرفوا الإسلام، وأعرفوا سعة الإسلام، قبل أن تتكلموا بما يسيء إليكم وإلى تفكيركم.

إدًا.. الإسلام هو الحل.. كانت انتخابات أم لم تكن، الإسلام هو الحل في وقت الشدة أو الرخاء، الإسلام هو الحل ما دمنا نريد الحياة الكريمة، ونبغى لقاء الله... والله الموفق والمعين.

* من علماء الأزهر الشريف.